تشكيلات المقاطع الصَّوتيَّة وتعليلاتها اللغويَّة في المباني الإفراديَّة ــ الصِّيغ الذَّاتيَّة نموذجا ــ

د. سعاد بسناسي
قسم اللغة العربية، وآدابها
جامعة السانيـــة وهران

الملخَّـــص:

يعتبر الاسم موضوعًا للدَّراسة والبحث، بُذِلَتْ فيه الجهود، وتعبـــت فيـــه العقول، وتواصل فيه التَّفكير؛ والأسماء هي تعبير مختصر عن صيغٍ ذاتيَّـــة. وكلُّ صيغة ذاتيَّة، هي عبارة عن مجموعة مـــن الصَّـــوامت والصَّـــوائت، ومجموع الصَّوامت مع الصَّوائت هو ما يُشكِّل مقـــاطع صـــوتيَّة بمختلـــف أنواعها، وتقسيماتها و تلويناتها. وإنَّ تشكيلات المقـــاطع الصَّـــوتيَّة للصِّـــيغ الذَّاتيَّة، تحتاج إلى تعليلٍ لغويّ لمبانيها و أصواتها؛ وذلك مـــا يســـعى هـــذا الموضوع إلى تحليله وتعليله.

تمهيــد:

لقد لقي موضوع الاسم، اهتمام الباحثين في مجمل مستويات اللغــة، ونجد البصريين والكوفيين اتَّفقوا على تقديم الحديث عن الاسم بدل الفعــل أو الحرف "[1817]"، وعلَّتهم في ذلك أنَّ الاسم يستغني بنفسه عن الفعل؛ لأنَّ الفعل فرع، ولا يستغني عن الاسم. فلمَّا كان الاسم هو الأصــل، ويســتغني عــن الفعل، والفعل فرع عليه، ومفتقر إليه كان الاسم مُقدَّماً عليه"[19]" وهذا التَّقــدُّم المقصود، يكون في الوجود والوظيفة، ثم في الرتبة.

ذوات الأسمـــاء

وانطلاقًا ممَّا سبق، نقول إنَّ الذَّات مفهومٌ يُطلق على كــلِّ موجــود فـــي الوجود، منها: المادِّي كالإنسان والحيوان والنَّبات والجماد؛ ومنها الحسِّي من كل ما تدركه الحواس، ومنها المُتصوَّرات العقلية ومنها المُتخيَّل؛ ومن ثمــة، فالذَّات هي موجود مقيس، يشغل حيِّزا من الفراغ، على حــدِّ قــول رجـــال التَّوحيد"[20]" وتوجد في المقابل، أسماء لا يمكــن التَّعبيــر عنهـــا لرفعتهـــا، وعظمتها كذات الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّه هو القائم بذاته، وذاته لا يقوم بها إلاَّ القديم"[21]" ومن هنا، فإنَّ أسماء الله الحسنى لا يُعبَّر عنها بالذَّات.

والاسم في المفهوم العام، هو حقيقة الموجود بما هو موجود، فكلُّ اسم هو علامة دالَّة على مسمَّى بذاته "[22]" والاسم، هو الذي يميِّز الموجود ويخصِّصه، وإن كنَّا نتحدَّث عن الذَّوات، فإنَّنا في حقيقة الأمر، نقصد الحديث عن أسماء هذه الذَّوات. و كلُّ اسم يجب أن يقترن بمسمَّى يدلُّ عليه، وذلك رغم وجــود الاختلاف في أصل اشتقاق هذا المسمَّى؛ و تتَّفق معظم الآراء على أنَّ الاسم علامة للمسمَّى كيفما كان نوعه.، وكيفما كان عدد مكوِّناته، ومنه يكون البدء بمكوِّنات الصِّيغ الذَّاتيَّة الثلاثيَّة؛ لتحليل مبانيها وكمياتها الصَّوتيَّة.

مكوِّنـــات الذَّاتيـــات

الصِّيـــغ الثلاثيَّـــة

إنَّ دراسة الصِّيغ الحدثيَّة ــ (الأفعال) ــ ترتكز أساسا على الأوزان وحركة عينها؛ أمَّا دراسة مباني الصِّيغ الذَّاتيَّة، فتقوم من خـــلال تشـــكيلاتها الصَّوتيَّة، وذلك أنَّ اللغويين لم يخصِّصوا للذَّوات أوزاناً كالذي خصَّصوا بـــه الحدثيات. ويتحدَّث (سيبويه) عن مكوِّنات الذَّوات، فيرى أنَّه ليس في الـــدنيا اسم أقل عددا من اسم على ثلاثة أحرف، ولكنَّهم قد يحذفون ممَّا كان علـــى ثلاثة حرفا، وهو في الأصل له ويردُّونه في التَّحقير والجمـــع "[23]" وإن كنـــا نلاحظ، زيادة في صوامت الصِّيغة على مجموع أصـــولها أثنـــاء التَّحقيـــر، والجمع مثل (رجل، رجيل، ورجال).

واتَّفق معظم اللغويين، على أنَّ أصل الصِّيغ العربيَّة ثلاثي، وذلـــك علـــى اختلاف أنواعها، حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحـــرف يوقـــف عليه"[24]" ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء، أنَّ الأصل الثلاثـــي، هـــو النَّواة الأساسيَّة "[25]" وإن وجدت آراء تخالف هذا؛ فإنَّ الأغلبية تجمـــع علـــى ثلاثيَّة أصول الصِّيغ.

وجاء في (متن الشَّافية) عن أبنية الاسم الثلاثي، أنَّه للاسم الثلاثـــي المجرَّد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منهـــا فُعِـــلٌ وفِعُـــلٌ استثـــقالاً وجُعِلَ الدُّئِلُ منقولاً، والحِبُك إن ثبت فَعَلَى تـــداخل اللغتـــين فـــي حرفـــي الكلمة، وهي فَلْسٌ كَتِفٌ عَضُدٌ حِبْرٌ عِنَبٌ إِبِلٌ قُفْلٌ صُـــرَدٌ عُنُـــقٌ"[26]" وجميـــع ما جاء به صاحب المتن، هي أمثلة دون ذكر موازينها.

مع أنَّ المباني الثَّلاثة الأولى معلَّلة صوتيًّا، فالصِّفة الأولى مضمومة البداية مكسورة الوسط، وهي مقبولة في أصلها لمجيئها على هيئة الماضـــي

المبني للمجهول، والثَّانية منعدمة في أصل العربيَّة لمجيئها على صيغة (فِعُل) التي قال فيها سيبويه: « ليس في الكـــلام حـــرف أولـــه مكســـور والثـــاني مضموم"[27] وإن وجد في مثل (السِّئونَ) فهو إمَّا شاذ أو غير عربي؛ والتَّعليل الصَّوتي لهذه التَّركيبة المورفولوجيَّة، أنَّ النَّاطق بها ينتقل من أسفل إلى أعلى متصعِّدًا وهو ثقيل مستقبح.

و الملاحظ، أنَّه في الحديث عن الأفعال، يقول الدَّارسون (أوزان الأفعال) وحينما يتحدَّثون عن الأسماء يقولون (أبنية الأســـماء) ولا يـــأتون للأســـماء بأوزان ثم يقيسون عليها؛ وإنما يأتون بمواد ويقيسون عليها أســـماء أخـــرى تشبهها، وتوافقها في الوزن، أي في عدد الصَّوامت، وترتيب الصَّوائت.

وما جاء به (ابن الحاجب) من أمثلة وأدرجها ضمن الأسماء، ليســـت كلهـــا أسماء ذوات، بل فيها نظر؛ إذ نجد العنوان يشير إلى أبنية الأسماء، وهو في تعريفه وتمثيله لها يقحم معها الأوصاف، وكأنَّ الذَّوات لم تحقِّـــق لـــه مـــادَّة كاملة، فلجأ إلى الأوصاف وأضافها إليها، وجعل لها عشرة أبنية، وإن كانت القسمة تقتضي اثني عشر، فقد أعطى لصامت صدر الصِّيغة الذَّاتيـــة ثلاثـــة صوائت (الفتحة والكسرة والضمَّة) باستثناء السكون وذلك لتعذُّر الابتداء به، ولعينها أربعة صوائت (فتحة وكسرة وضمَّة ثم ســـكون) وبـــإجراء عمليَّـــة ضرب، يكون مجموع الصِّيغ اثني عشر صيغة، تغيَّر شكلها وتشكيلها، وكذا دلالتها بتغيُّر أصواتها بتأثير عوامل الصَّوت في نطقها.

ودليل تحويل الصَّوت للصِّيغ الذَّاتيَّة، وتأثيره فيها هو إقرار الصِّيغ التي سهُل نطقها، في مثل: (فَعْل نحو فَلْسْ، وفَعَلْ نحو فَرَسْ، وفَعِلْ نحو كَبِدْ، وفَعُلْ نحو عَضُدْ، وفِعْلْ نحو عِدْلْ، وفِعِلْ نحو إبِلْ، وفِعَل نحو عِنَبْ، وفُعْـــلْ

نحو قُفْلْ، وفُعُلْ نحو قُفُلٌ)"[28]" وهنا جعل صاحب النَّص، لكلِّ اسم وزنًا سابقًا له، خلافًا لما رأيناه في النَّص السَّابق.

وفي المقابل سقط منها (فُعِل، وفِعُل) لثقل النُّطق بهما؛ لأنَّ الخـــروج من الكسرة المستفلة المنخفضة إلى الضمَّة ثقيل لاستعلائها، ولم يذكر (ابـــن الحاجب) صوائت لام الصِّيغ الذَّاتيَّة؛ لأنَّه اعتبر اللاَّم صوتًا يُوقَف عليه، فهو دائما في الصِّيغ المذكورة منوَّن؛ ولكنَّه أهمل التَّنوين ورجَّح الجانب الصَّرفي على النَّحوي، في حين أنَّ التَّنوين هام وأساسي في الصِّيغ الذَّاتيَّة، لأنَّه يلوِّن ويغير شكل الصِّيغ ومادتها، ولتحليل التَّشكيلات الصَّـــوتيَّة للأبنيـــة الذَّاتيَّـــة الثلاثيَّة، نُدرج فيما يأتي جدولاً موضحا لها؛ بدءاً بالفتح، فالضم، والكســـر، والتَّنوين والمكرور"[29]" ثمَّ السكون.

جـــدول التَّلوينـــات الصَّوتيَّة للثلاثـــي

المكوِّنات	الصِّيغ	الصوائت	الفتحات	الضمَّات	الكسرات	التنوين	المكرور	السكون
ثلاثيَّة	عشرة	30	07	05	05	10	00	03
النِّسبـــــــــة			%23,33	% 16,66	%16,66	%33,33	% 0,0	%10,0

مع مكوِّنـــات الجدول

يظهر في هذا الجدول، شيوع التَّنوين وتقدُّمه على غيره، متبوعًا بـــالفتح، وتوافَقَ صائتا الكسر والضَّم، وتأخَّر السكون الذي لم يعتبره اللغويون صائتًا، وشيوع التَّنوين هنا، أمر مهم بالنَّظر إلى قوالب الصِّـــيغ ومكوِّناتهـــا، ومـــن

المتَّفق عليه أنَّ الذَّوات لا يدخل السكون أواخرها، وما جاء هنا، جـــاء فـــي وسط الصِّيغة الحدثيَّة، وصائت وسط الصِّــيغة مجالـــه الحـــدثيات، وغيـــر السَّاكنات الأواسط هنا، فيها نظر عند المورفولوجيين العرب، وهناك قاعـــدة تذهب إلى أنَّ: كلّ اسم ثلاثي ساكن الوسط، يجوز تحريكه، وتسكينه، ويصبح في جميع الصِّيغ الذَّاتيَّة الثلاثيَّة وجهان: الحركة والسكون؛ والسكون ضـــرب من التَّمكين.

ومن أسماء التَّنوين اللاَّحق بالذَّوات، تنوين التَّمكين؛ وهو علامـــة للأمكـــن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون"[30] وإذا شاع التَّنوين هنا، فمعناه غلبة الخفَّة على الثِّقل، وإذا قلنا بهذا، يكون قد انتفى عن السكون صفة الخفَّة الموصوف بها عند معظم اللغويين، وهذه نظرة جديـــدة فـــي كميـــات الصَّوائت ووظائفها، بل وحتى في تصـــنيفها؛ لأنَّ الســـكون لا يعـــدُّ مـــن الصَّوائت العربيَّة في الدِّراسات العربيَّة؛ وحديث التَّنوين ووظيفته، يتَّضـــــح في موضوع التَّراكيب بأكثر من هذا.

ولا ننساق مع الصَّوائت هنا كثيرا، لأنَّ الذَّوات لا تعمل فيها الصَّوائت عمل الصَّوامت، وإن كان للصَّوائت تأثير عليها، فهو دون مكوِّناتها من الصَّوامت، وإذا كان التَّنوين موقعه نهايات المباني الذَّاتيَّة، فإنَّ الصَّوامت العاملـــة فـــي تحديد المباني موضعها النِّهايات غالبًا، وفي الوقف عليهـــا بالســـكون إزالـــة للصَّائت من نهاية الصِّيغة الموقوف عليها.

وسنُقدِّم لهذا جدولاً توضيحيًّا، يعبِّر عن شيوع الصَّوائت مـــن التَّشـــكيلات الصَّوتية الذَّاتيَّة الثلاثيَّة، ومن بعده يأتي ذكر لوحة إحصائيَّة إجماليَّة للمقاطع الصَّوتيَّة لهذه الصِّيغ؛ ثمَّ تحليل المجاميع والنِّسب التي توصَّلنا إليها من كـــلِّ هذا، ويكون البدء بالرَّسم التَّوضيحي، فيما يلي"[31]:

جـــدول صوتيـــات الثلاثـــي

الصيغة اللغوية	الميـــزان العروضي	الميزان الصرفي	التقطع اللغوي	ف	غ	م ف	م غ	ق	س	ط
صَقْرٌ	فَعْلُنْ	فَعْلٌ	صعص/صعص						02	
جَبَلٌ	فَعَلُنْ	فَعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01				01	
قُفْلٌ	فُعْلُنْ	فُعْلٌ	صعص/صعص		02				02	
جِذْعٌ	فِعْلُنْ	فِعْلٌ	صعص/صعص		02				02	
كَبِدٌ	فَعِلُنْ	فَعِلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
رَجُلٌ	فَعُلُنْ	فَعُلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
صُرَدٌ	فُعَلُنْ	فُعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
أُذُنٌ	فُعُلُنْ	فُعُلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
عِنَبٌ	فِعَلُنْ	فِعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
إِبِلٌ	فِعِلُنْ	فِعِلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
المجاميع			27	14	13	0	0	14	13	0
النِّسب				51,85	48,1	0	0	51,8	59,2	0

مع مكوِّنات الجدول

اشتمل هذا الجدول على أحدَ عشر واديًا، الأربعة الأولى منها للحروف، والباقية للأرقام والأعداد. واختصَّت الحروف بالدَّلالة على الأسماء الثلاثيَّـــة من الذَّوات، وما يعادلها من الموازين المكوَّنة من الصَّـــوامت والصَّـــوائت.

ومن هذه النَّظرة الأولى، تظهر الوظائف الصَّوتيَّة عاملةً موجِّهـــةً مؤسِّســـةً للموازين؛ وتبقى الأرقام في مجال اللغة الشَّارحة المعبِّرة عمَّـــا جـــاءت بـــه الصَّوامت والصَّوائت.

ونقول قبل التَّحليل، إنَّ الرَّمز العددي في حساب المفردات والجمل يعطينـــا القيمة الخفيَّة، وذلك بتعويض القيم العدديَّة إلى حروف مساوية لهـــا، نحـــو: (20،400،01،02) المساوية صوتيًّا لصيغة (كتاب)؛ فهل نســـتطيع إيجـــاد رموز صوتيَّة تعطينا الأصوات الغائبة؟ مثلا المقـــاطع الصَّـــوتيَّة التَّاليـــة: (صع/صعع/صعص) إذا حاولنا إيجاد الصِّيغة المساوية لها؛ فإنَّنا نقـــع أمـــام عدَّة صيغ احتماليَّة، قد تكون: (كِتَابٌ أو رِمَالٌ أو جِمَالٌ أو لِبَـــاسٌ) فالصِّـــيغ كثيرة، والمقطع الصَّوتي، يعطينا عدَّة احتمالات، والمقطع الشِّعري كذلك مثل الصَّوتي في وجود هذه الاحتمالات، فتفعيلة (فَاعلُنْ) تشترك فيها صيغ عدَّة، نحو: (مَالِكٌ أو شَاهِدٌ أو سَالِمٌ...) وغيرها من الصِّيَغ على الوزن نفسه.

ونرى بضرورة التَّوصُّل إلى مقطع مناسب، يعطينا الصَّوت الغائب (الشَّفرة)، فلا المقطع الصَّوتي ولا الشِّعري يعطيان لنا هذا؛ لأنَّ المقطـــع هـــو وعـــاء صوتي قابل لعدَّة احتمالات ومختلف التَّوقُّعات التي تختلـــف فـــي دلالاتهـــا، وتتَّفق من حيث كميَّتُها الصَّوتيَّة التي تعبِّر عن فكرة؛ لأنَّ المقطـــع يســـاوي فكرة ويُعبِّر عنها.

وبالرجوع إلى وديان الجدول الإحصائي السَّابق الذِّكر، بحسب رتبه وترتيبه، يظهر في أوَّله وادي الذَّوات بالوزن والتَّعيين والتَّمثيل، وقد اختيرت هذه الأسماء؛ لتكون متطابقة مع موازينها الصَّوتيَّة، وما يلفت الانتباه هنـــا، أنَّ الموازين يراعى فيها دائما مطابقتها للموزون؛ ولكنَّها هنا على غير ذلك؛ إذ يتم اختيار اسم الذَّات المتطابقة مع الميزان، وكأنَّ الميزان صـــار ســـابقًا

للموزون، وما ذلك إلاَّ أحكام مُسبقة يترتَّـــب عنهـــا إقصـــاء أســـماء ذوات، واعتبارها غير عربيَّة أو شاذَّة عندما تختلف بنيتها وتشكيلها عـــن المقيـــاس الصَّوتي المتَّخذ من أجل قياسها.

وجاء بعد كل اسم ثلاثي ثلاثة وديان تزنه، وتؤكِّد مدى مطابقة هـــذا الاســـم للمقاييس الصَّوتيَّة، وأصبح كلُّ اسم ذاتي ثلاثي المكوِّنات لا يكتسب شرعيته إلاَّ بعد أن توافق عليه الموازين الصَّوتيَّة الثَّلاثة التي هي: الميزان الشِّـــعري بتفعيلاته، والصَّرفي بصوائته، واللغوي بمقاطعه؛ وما خالف هذه المـــوازين وتخلَّف عنها يتنحَّى عن مجال الاستعمال الرَّسمي.

وبالنَّظر إلى صوامت التَّشكيلات العاملة فيما سبق، فقد اختيرت على أساس المطاوعة والليونة في المعاملة مـــع الصَّـــوائت؛ ومـــن المعلـــوم أنَّ للتَّشكيلات الصَّوتيَّة في المباني المورفولوجيَّة ثلاث حالات، سمَّاها اللغويون المتمكَّن الأمكن، والمتمكِّن غير الأمكن، وغير المـــتمكِّن وغيـــر الأمكـــن، والأوَّل منها هو الذي يتعامل مع كلِّ الصَّوائت إفـــرادًا وتكريـــرًا، وسَّـــموه المنصرف وهو المنوَّن أيضًا.

وبالرجوع من جديد إلى أسماء الذَّوات الوارد ذكرها من قبل، نجـــدها كلهـــا منوَّنة مصروفةً فهي من المتمكِّن الأمكن، وتكرَّر التَّنوين في جميـــع وديـــان الجدول شكلاً ونطقًا، وظهرت النُّون معبِّرة بغنَّتها عن تمكُّن جميع مـــا ورد من الأسماء، والتَّنوين نون ساكنة منطوقة غير مرقونة عند اللغويين؛ ومـــن هنا، فهي وسط بين الصَّوامت والصَّوائت، أو لنقل: التَّنوين هو الصَّوت الذي يجمع بين الصَّامت والصائت؛ وهو علامة التَّمكـــين، ومـــن نظـــرة أخيـــرة للجدول، يظهر أنَّ التَّنوين الذي هو صورة صوتيَّة منطوقة مرســـومة، هـــو

علامة التَّمكين؛ ومن هنا أيضًا، نقول الصَّوت هو العامل الموجِّه المخصِّص للمبنى المورفولوجي.

ويُعبَّر عن التَّنوين عند التَّقطيع اللغوي، بالمقطع المغلق (صـــعص) كالباء المنوَّنة في (كتابٌ) أو إغلاق المفتوح (صعصص) كالوقوف على كلمة (بحر) بالسكون؛ وباستنطاق نهايات أرقام الجدول، يمكن أن نصف تشكيلات الذَّوات الثلاثيَّة البناء بأنَّها رباعيَّة الأوصاف في ترتيبهـــا؛ وجـــاءت علـــى التَّنظيم الآتي: المتوسِّطة، فالمفتوحة، وبعدها القصيرة، ثمَّ المغلقة، فقد احتلَّت المقاطع المتوسِّطة الرتبة الأولى، وجاءت المغلقة في الرَّابعة، وهذه الرُّتـــب حـــدَّدها الصَّوت بمقاطعه اللغويَّة؛ وهذا جميعه فـــي التَّشكيلات الثلاثيَّـــــة، وقد يكون فيما فوقها متطابقًا معها أو مخالفًا لها، وعامل الصَّوت هنا، يكمن في سقوط الأوزان الثَّقيلة النطق؛ وجميعه هو ما سيظهر لاحقًا؛ ومـــن بعـــد هذا، يأتي حديث أبنية الأسماء الرباعيَّة وتحديد عامل الصَّوت في توجيههـــا، وتلويناتها المختلفة.

مكوِّنـــات الرباعـــي:

للصِّيغ المورفولوجيَّة الذَّاتية الرباعيَّة أربعة أبنية، قـــال فيهـــا ابـــن الحاجب: (وللرُّباعي خمسةٌ: جَعْفَرٌ، زِبْرِجٌ، بُـــرثُنٌ، دِرْهَـــمٌ، قِمَطْـــرٌ، وزاد الأخفش نحو جُخْدَبٌ)"[32]" وجاء صاحب هذا النَّص، بأمثلة للأسماء الرباعيَّة؛ أمَّا أوزانها فهي: (فَعْلَلٌ، وفِعْلِلٌ، وفُعْلُلٌ، فِعْلَلٌ، فِعَلٌّ + فُعْلَلٌ) وهـــذا الـــوزن الأخير، ذكره (الأخفش) وبه يكون عدد أوزان الصِّيغ الرُّباعيَّة ستَّة.

تكرَّرت الكسرة أربع مرَّات في الصِّيغ الآتية: (دِرهمٌ) في موقعيَّـــة البدايـــة، ومرَّتين في (زِبرِجٌ) حيث جاءت فاؤها ولامها الأولى مكسورتين، و(قِمَطرٌ) كُسرت فاؤها كذلك؛ ثم تليها الضمَّة ثلاث مرَّات، في: (بُرثُنٌ) مرَّتين وفـــي

(جُخدَبٌ)؛ وفاقت الفتحة مجموع صائتي الضمَّة والكسرة؛ حيث بلـــغ عـــدد الفتحات في الصِّيغ الرباعيَّة خمسا، واحتلَّت بذلك الصَّـــدارة، وبقـــي نـــزاع الشُّيوع بين الكسرة الدَّقيقة الرَّقيقة التي فاقت الضمَّة هنا، وتـــأخَّرت بـــذلك الضمَّة عنها التي يقال عنها، إنها دليل القوَّة والثَّبات في المباني الموفولوجية، وبخاصة الحدثية منها.

ويكمن دور عامل الصَّـــوت، وتوجيهـــه لشـــكل ودلالـــة الصِّـــيغ المورفولوجيَّة الذَّاتية الرباعيَّة، في عدم توالي أربع حركـــات فـــي صـــيغة واحدة، نحو الفعل الماضي (كتَبْتُ) المسند إلى المفرد المتكلِّم، حيث سُـــكِّنَت الباء وحقُّها النَّصب، وذلك لدفع كراهة توالي أربع متحركات"[33]" مع وجـــود هذا التَّتابع في مثل هما (كَتَبَتا) ويهدف كل تنظيم صوتي إلى تحقيق الانسجام بين المكوِّنات، وإن وردت أمثلة من هذا النَّوع، فهي متغيَّرة عـــن الأصـــل. ونخلص من ذلك، إلى أنَّ الرباعي من الصِّيغ الذَّاتيَّة، لابدَّ من إسكان ثـــاني صوامته أو ثالثها، وتعليل ذلك صوتي؛ يتمثَّل في تحقيق الانسجام والتَّـــوازن بيـــن المكوِّنات، وتحقيـــق تكامل نطق الصِّيغـــة، الذي يحصل بالزِّيـــادة أو النقصان، كما رأينا مع المد سابقا.

والملاحظ، أنَّ هذه الأوزان تعدَّدت أشـــكالها؛ لاخـــتلاف صـــوائت صوامتها، وما يلفت الانتباه فيها، أنَّ فاءها غلب عليها صائت الكسرة ــ من بعد الفتحة الحيادية الشائعة في غالب الأحوال ــ لأنَّ كمية الكسرة في حـــدِّ ذاتها، أقوى من غيرها، كما أنَّ كثيرا من الصِّيغ تمال عند النطق بها نحـــو الكسر"[34]" وسنتطرَّق إلى الشَّكل، ومختلف الكمِّيات الصَّوتيَّة في موضعها من هذا البحث؛ ولتحليل التَّشكيلات الصَّوتية للصِّيغ الذَّاتية الرباعيَّة، هذا تلخيص لمكوِّناتها ــ كما رأينا مع الثلاثيَّة ــ في الجدول الآتي:

جدول تشكيـــلات الرباعي

عدد المكوّنات	الصّيغ	الصّوائت	الفتحات	الضمات	الكسرات	التّنوين	المكرور	السكون
رباعية	06	24	05	03	04	06	01	05
النسبة			%20,83	%12,5	%16,66	%25	%4,16	%20,83

وقفـــة مع الجـــدول

يظهر من مكوّنات الجدول السَّابق للتَّشـــكيلات الصَّـــوتيَّة للـــذَّوات الرباعيَّة، أنَّ مجموع صوائتها الإجمالي (*24*) صائتًا، شاع فيهـــا التَّنـــوين، مقارنة ببقيَّة الصَّوائت؛ وبلغ مجموعـــه ســـتة صـــوائت مكـــرورة، بنســـبة (*25* %)؛ حيث حافظ على رتبته التي وجدناه عليها في الثلاثيات، ومن بعده الفتحة والسُّكون في رتبة واحدة بمجموع خمسة صوائت؛ مـــع أنَّ التَّنـــوين والسكون يلتقيان في التَّركيز الصَّوتي؛ ومن هناك، قالوا في التَّنوين (هو نون ساكنة). ومن بعدها الكسرة، فالضمَّة ثمَّ المكرور.

ومن هذه الرُّتب والمجاميع، تظهر أهمِّية السكون من بين الصَّـــوائت العربيَّة؛ من خلال ما شغله من مساحة في مجال الذَّوات، بالرَّغم من غيابـــه في موازين الحدثيات، وغياب الإشارة إلى دلالاته في الصِّـــيغ والتَّراكيـــب، وفي الصِّيغ الخمسة الأولى كان موقع السكون منها مع الصَّامت الثَّاني، وفي الصِّيغة السَّادسة مع الصَّامت الثَّالث، وسبقته الكسرة في صيغتين والضـــمَّة

كذلك، وجاء مسبوقا بالفتحة في صيغة واحدة؛ وبعد تقديم الجـــدول السَّـــابق بمكوِّناته وأعداده، هذا تلخيص لشيوع الصَّوائت من تشكيـــلات الرباعــــــي، في الرَّسم الآتـــي:

جدول المقاطع الصَّوتيَّة للرباعي

أوزان الرباعي	التقطيع الصوتي	نوعية المقاطع				كميات المقاطع		
فَعْلَلٌ	صعص/صع/صعص	ف	غ	مف	م غ	ق	س	ط
فِعْلِلٌ	صعص/صع/صعص	01	02			01	02	
فُعْلُلٌ	صعص/صع/صعص	01	02			01	02	
فِعْلَلٌ	صعص/صع/صعص	01	02			01	02	
فَعْلِلٌ	صعص/صع/صعص	01	02			01	02	
فِعَلٌّ	صع/صعص/صعص	01	02			01	02	
المجموع	18	06	12	00	00	06	12	00
النسبة		%33,33	%66,66	%0	%0	%33,33	%66,66	%0

رأي فـــي الجدول:

تكوَّن الجدول السَّابق من حيث عدد خاناته وتقسيماته، وعناوينه كســابقه المرسوم في إحصاء المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الثلاثيَّة"[35] عدا خانة المقــاطع العروضيَّة، ومع اختلاف المكوِّنات الدَّاخليَّة طبعًا؛ حيث بلغ مجموع المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الرباعيَّة (18) مقطعًا، وكان عدد المقاطع المغلقة من حيــث مجموعُها ونسبتُها ضعف المقاطع الصَّوتيَّة المفتوحة، بمجموع (12) مقطعًــا

وبنسبة قدرها (66,66 %)، ومثلها المقاطع المتوسِّطة من حيث الكــم فــي المجموع والنِّسبة، وانعدمت المقاطع المزدوجة بنوعيهــا المفتوحة والمغلقــة من حيث النَّوع، كما انعدمت المقاطع الطَّويلة من حيث الكم.

وعلى أساس مراعاة المراتب والمواقع، فإنَّ جميع موقعيات الوسط احتلتهــا مقاطع قصيرة، وجاءت وسطا بين مقطعين متوسِّطين؛ فكان المقطع القصير هو الوسيط، وهو موطن التلاقي بين مقطعين متوسِّــطين، وبهــذا التَّوزيــع الصَّوتي لكميات المقاطع، يتحقَّق للتَّركيبة المورفولوجيَّة الرباعيَّة انســجامها باعتدال مكوِّناتها.

وإذا عدنا إلى العامل الصَّوتي فيما ورد من مقاطع، وفيما انعدم منها، فإنَّــه يقودنا إلى مبدأ الخفَّة والانسجام الصَّوتي، وكذا مراعاة مبدأ الاقتصــاد فــي الجهد؛ ودليل ذلك خلو هذه الصِّيغ من المقاطع المزدوجة؛ أي المركَّبة لثقــل النطق بها، وشاعت المقاطع المغلقة، ومن بعدها المفتوحة، ثــمَّ المتوسِّــطة؛ وهذا حديث أبنية الصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة.

تشكيلات الخماســي:

للصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة أربعة أبنية، ذكرها (ابن الحاجــب) فــي قولــه: (وللخماسي أربعة: سَفَرْجَلٌ، قِرْطَعْبٌ، جَحْمَــرِشٌ، قُــذَعْمِلٌ)"[36]" وإن حيــدنا صيغة (فَعلِلٌ)"[37]" التي أتت صفةً؛ لأنَّه ذكر أمثلة، ولم يــأت بــأوزان، فقــد استدرك هذا الأمر صاحب (فتح اللَّطيف) وذكر الأوزان وألحقهــا بأمثلــة، ورغم هذه الإضافة المسجَّلة؛ فإنَّه كان يمزج بين الذَّوات والأوصاف. وذلك ما سجَّلناه في حديث (ابن الحاجب) عن أبنية الصِّيغ الذَّاتية الخماســيَّة، ممَّــا جعلها خمسة أبنية، وهي في الحقيقة أربعة للسَّبب المذكور سابقًا.

وما نشير إليه في حديثنا عن أبنية الصِّيغ الذَّاتية الرباعيَّة والخماســيَّة، أنَّ فيها نظرًا، سيما ما يتعلَّق بعدد كلِّ نوع، ويرى (الأسترأبادي) فـــي شـــرحه للشَّافية اعتمادًا على الحساب، والتَّقليبات الاشتقاقيَّة أنَّه كان ينبغي أن يكـــون للرباعي خمسة وأربعون بناء، وذلك بأن تضرب ثلاث حالات الفـــاء، فـــي أربع حالات العين، فيصير اثني عشر، تضربها في أربع حالات اللاَّم الأولى أن يكون ثمانية وأربعين، يسقط منها ثلاثة لامتناع احتمال السَّاكنين؛ وكـــان حقُّ أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدا وسبعين"[38].

ومن هنا نقول: لو تحقَّق هذا العدُّ الحسابي لإثبات كلِّ هذه الصِّـــيغ، لكان شكل الصِّيغ أكثر ممَّا ورد سابقًا، وحينها يلعب العامل الصَّـــوتي دورًا هامًّا في توجيه نطقنا؛ للتَّفريق بين كلِّ هذه الصِّيغ؛ ولكن ما جاء به شـــارح الشَّافية، كان مجرَّد احتمالات ولم تتحقَّق استعمالاً.

وجاءت فاء هذه الصِّيغ المورفولوجيَّة، متنوِّعة الصَّـــوائت: بـــالفتح والضَّم والكسر، مفتوحة في (فَعَلٌّ نحو سموألٌ) ومضمومة في (فُعَلٌّ نحـــو خُزَعْبَلٌ) ومكسورة في (فِعْلَلٌ نحو قِرطعبٌ)، وبالنَّظر لصـــوائت كـــلٍّ مـــن العين، واللاَّم نجد التَّساوي كذلك؛ للعين فتحتان، وللاَّم كسرتان، مقابل سكون واحد للعين، وغياب الضمَّة هنا.

وفيما ذكرناه من الصِّيغ، تظهر وظيفة الصَّوت بارزة فـــي توجيـــه الأداء ورفع اللبس، فقد جاءت التَّلوينات الصَّوتيَّة مميزة لكـــلِّ صـــيغة عـــن أختها، فالصَّوامت خمسة في كلِّ بناء؛ ولكن مواقع الصَّوائت هي التي نوَّعت هذه التَّشكيلات وميَّزت بينها.

وهناك من يرى، أنَّ أصل الصِّيغ الذَّاتيَّة، ثلاثـــي أو ربـــاعي؛ أمَّـــا الصِّيغ الخماسيَّة، فهي أسماء مُعرَّبة، ولا توجد في الأصـــل العربـــــي"[39] ومثال ذلك: (إسماعيل، وإبراهيـــم، وطـــالوت، وجـــالوت) ووُجـــد فـــــي

الاستعمال ما يخالف هذه القاعدة، بدليل ما ذكرناه مـــن أمثلـــة عـــن أبنيـــة الخماسي، الذي تكون مجموع صوامته أصليَّة لا زيادة فيها، وهـــذا جـــدول تلخيصي لتشكيلات الصِّيغ الخماسية.

جـــدول تشكيلات الخماسي

عدد المكونات	الصيغ	الصوائت	الفتحات	الضمات	الكسرات	التنوين	المكرور	السكون
خماسية	***04***	***20***	**06**	**02**	**03**	**04**	**03**	**02**
النسبة			**%30**	**%10**	**%15**	**%20**	**%15**	**%10**

مع المكوِّنات

لقد بلغ مجموع الصَّوائت في الصِّيغ الخماسيَّة عشرون صائتاً (20)، وشاع فيها صائت الفتحة مقارنة ببقيَّة الصَّـــوائت، وكـــان مجموعهـــا (06) ونسبتها (30%)، ومن بعدها التَّنوين بمجموع (04) ونسبته (20%) وكانت موقعيته آخر الصِّيغ الأربع، ثمَّ الكسرة والمكرور في رتبة واحدة وبمجموع واحد (03) بنسبة (15 %)، ومن بعدهما الضمَّة التي كانـــت أقـــل شـــيوعًا فتكرَّرت مرَّتين بنسبة (10%) واحتلَّت موقعيَّة البداية مـــن صـــيغتين مـــرَّة واحدة في كلٍّ منها؛ ومما يلاحظ هنا، أنَّ شيوع الصَّوائت في أبنية الثُّلاثـــي والرُّباعي والخماسي، كان يتقدَّمها في الغالب الفتحة والتنوين والكســـرة ثـــم السكون. ووجدنا في كلِّ بناء صدارة الكسرة عن الضمَّة ــ عدا تســـاويهما في الثلاثية ــ وللتَّذكير؛ فإنَّ مجموع الكســـرات والضـــمَّات فـــي الثلاثـــي والرباعي والخماسي كالآتـــي:

جدول صوائت الصِّيغ

الصِّيغ	الكسرة	الضمَّة
الثلاثية	05	05
الرباعيَّة	04	03
الخماسيَّة	03	02
المجموع	12	10

جدول المقاطع الصَّوتيَّة في الخماســـي

أوزان الخماسي	التقطيـــع الصوتـــي	نوعيـــة المقاطع الصوتية				كميـــات المقاطع		
		ف	غ	م ف	م ق	ق	س	ط
فَعَلَّلٌ	صع/صعص/صع/صعص	02	02			02	02	
فُعَلَّلٌ	صع/صعص/صع/صعص	02	02			02	02	
فَعْلَلِلٌ	صعص/صع/صع/صعص	02	02			02	02	
فِعْلَلٌّ	صعص/صعص/صعص		03				03	
المجموع	15	06	09	00	00	06	09	00
النِّسبة		%40	%60	%00	%00	%40	%60	%00

وقفـــة ورأي

لقد أشرت من قبل، إلى أهمية المقطع الصـــوتي باعتبـــاره الوحـــدة القاعدية للغة، ولم أتوسع في ذلك، انتظارا لتتمة الحديث عن جميع كميـــات الصيغ الذاتية، من الثلاثية حتى الخماسية، وميزت الذاتية على أســـاس أنهـــا عنصر الإسناد، والتقى بُعد الصيغة الذاتية مع المقطـــع، باعتبارهـــا وحـــدة الإسناد، والمقطع وحدة البناء.

ولما كان المقطع الصوتي كميات متتابعات، فهو يمثل سلسلة كلامية، متآلفة الحلقات متتابعة متناسقة معبرة عن خلفية فكرية. في إفراد أو تركيـــب ويحمل كل تركيب منها خصائص تعكس الصورة الذهنية والدلالات المرتبطة في السياقات اللغوية، وسياقات الحال، وفق تنوعات صوتية منتظمة"[40]" ومن هنا، كان المقطع وحدة فكر وتفكير، قبل أن يكون وحدة صوت وتصويت.

ومن هذا المنظور، تكون المقاطع الصَّوتيَّة شحنات فكريَّة مرسلة من النَّاطق إلى المتلقِّي، مؤثِّرة على جهازه العصبي بنوعيـــة مـــا تحملـــه مـــن صوائت وصوامت، ومن هذا المنظور، عرَّف (الفارابي) المقطع بأنَّـــه كـــل حرف غير مصوِّت، أُتبِع بمصوِّت قصير، ويسمَّى هذا بـــالمقطع القصـــير، والعرب يسمونه الحرف لمتحرك، وكل حرف لم يتبـــع بصـــوت أصـــلا"[41]" وحركات المقاطـــع وسكناتهـــا، هي انعكاســـات لخلجات الـــنفس والفكـــر. ومن هنا، بات من الممكن إقامة العلاقة بين كميات المقـــاطع ونوعهـــا مـــع خلفيات ما تحمله من دلالات.

وفي هذا الجدول الذي يجمع مقاطع الخماسي، نسجِّل حضور نوعين من أربعة، هما المفتوح والمغلق، وغاب مزدوجا الانفتاح والانغلاق، وفـــي الكميات حضر نوعان أيضا هما القصير والمتوسِّط، وغاب المقطع الطَّويل.

وفي ما بين الكم والنَّوع حضر أربعة وغاب ثلاثة، ومع ذلك حصل التَّوافــق في الحضور بين النَّوع والكم، وهو حضور المفتوح والمغلق القصيران فـــي النَّوعيات، والقصير والمتوسِّط في الكميات. ومـــن هنـــا حصـــل التَّوافــق والانسجام في مقاطع الجدول المخصَّص للصِّيغة الخماسيَّة الذَّاتيَّـــة؛ وتبقـــى ظاهرة الانسجام تنتظر التَّعليل.

من الملاحظ، أنَّ مقاطع الجدول لا تعبِّر عن ذوات مـــع أنَّهـــا فـــي موضوعها ومجالها، وإنَّما تعبِّر عن موازين الذَّوات التـــي كانـــت أربعـــة، والمقاطع الحاضرة أربعة، والميزان ينتظر منه التَّساوي في ما يوزن به، وقد حصل هذا التَّوازن والتَّوافق هنا، في العدد والنِّسب التي تساوت فيها نهايات الخانات، وكانت خلاصة وصفها في ما هو آت.

لقد شاعت المقاطع المغلقة من حيث نوعُها، من خلال مجاميع ونسب المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة، بمجمـــوع (90) ونســـبة بلغـــت (60 %)؛ وكان عدد المقاطع المفتوحة (06) بنسبة (40%) وغابت المقاطع المزدوجة بنوعيها. أمَّا من حيث الكميَّة؛ فشاعت المقاطع المتوسِّطة وماثلـــت المغلقة من حيث المجموع والنِّسبة، ومن بعدها القصيرة بمجمـــوع ونســـبة يماثلان ما رأيناه مع المقاطع المفتوحة، وانعدمت المقاطع الطَّويلة.

الهوامـــش:

[18-1] ـ ويمكن تقديم حديث الأسماء عن الأفعال، من وجهة نظر دينية؛ لأن الله تعالى علَّـم آدم الأسماء أوَّلا، وهذه نظرة خاصة بصاحبها، محمد متولي الشعراوي، في كتابه أسـئلة حرجة، وأجوبة صريحة؛ حيث يقول: (إنَّ منشـأ العلـم الأسـماء...أي أنَّ أي إنسـان لا يستطيع أن يبدأ التَّعلم إلاَّ إذا عرف معاني الأسماء تماما كمـا علَّـم الله آدم... مبتـدئًا بالأسماء). ص 183، دار العودة، بيروت.

[19] ـ أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 84، تحقيق مازن مبـارك، ط 4، بيروت، (1402هج/ 1982م).

[20] ـ أبو زيد القيرواني، الثمر الداني، ص 9، شرح وجمع صالح عبـد السـميع الآبـي الأزهري، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغايـة، (1987م). وعـن الذات يقول (عبد القادر عبد الجليل) هي ما: " شغلت حيزا في الطبيعة ". علم الصـرف الصوتي، ص 262، ط 1، عمان، (1998م).

[21] ـ أبو زيد القيرواني، الثمر الداني، ص 12.

[22] ـ مكي درار، مقال خلفيات التقاطع بين الأسماء والألقاب والكنى، ص 79.

[23] ـ سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 322، س 2.

[24] ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط1، (1967م).

[25] ـ عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 44. وقـام بدراسـة إحصـائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصَّل إلى أنَّ: "عدد الجذور الثلاثيـة بلغ 2931 جذرا بنسبة 80,93 *%*؛ والجذور الرباعية 647 بنسبة *17,97* %، والجـذور الخماسية 39 بنسبة *1,08* %" نفسه، ص 44، بتصرف.

[26] ـ ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 35. و ينظر، ابن جني، التَّصريف الملـوكي، ص 04/03، تصحيح، وشرح، محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحمـوي، ط 1، مـط، شركة التَّمدن الصناعية، مصر.

[27] ـ سيبويه، الكتاب.ج 4، ص 146. س 12. وقال في موضع آخر: (ليس فـــي الـــدنيا حرف أوله مكسور وثانيه مضموم).

[28] ـ عمر بن أبي حفص الزموري، فتح اللطيف فـــي التصريف على البسط والتعريـــف، ص 61.

[29] ـ آثرنا ذكر مجموع التنوين والمكرور: (التضعيف)، حتى يكتمل الحساب من جهـــة، ولأهمية التَّنوين كما ذكرنا من جهة أخرى، ولنا عودة إليه، من خلال تحليـــل مكوِّنـــات الجدول، وكذلك أهمية السكون جعلتنا ندرجه؛ قصد تحليله.

[30] – سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 22.

[31] ـ و نشير إلى أنَّ الرمز (ف) هو مقطع مفتوح، و(غ) مغلق، و(م/ف) مزدوج الانفتاح، و(م/غ) مزدوج الانغلاق، و(ق) قصير، و(س) متوسط، و(ط) طويل، وأنَّ هذه الرمـــوز ستتكرر في جداول هذا الفصل، وغيرها بهذا الشكل.

[32] ـ ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47. والزموري، فتح اللطيف، ص 59.

[33] – محمد محي الدين عبد الحميد، شرح الأجرومية، ص 75.

[34] ـ مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص 125.

[35] ـ ينظر تفصيل الحديث عن المقاطع وتقسيماتها عند، ديفيد ابر كرومي، مبـــادئ علـــم الأصوات العام، ص 55 وما بعدها، ترجمة وتعليق محمد فتيح، ط 1، (1988 م).

[36] ـ ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47.

[37] ـ الزموري، فتح اللطيف، ص 60.

[38] ـ رضي الدين الأسترأبادي، شرح الشافية، ج 1، ص 47.

[39] ـ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويـــة، ص 229، دار الكتـــاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

[40] – عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية، وموسيقى الشعر العربي، ص،47، مط، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط، 1، (1998م).

[41] – أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، ص،10 ،75، تح، وشر، غطاس عبد الملـــك خشبة، مراجعة وتصدير، محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربـــي للطباعـــة والنشـــر، القاهرة.